

LCPS

المركز اللبناني للدراسات
The Lebanese Center
for Policy Studies

تأثير الأزمات المتعاقبة على رواد الأعمال بحكم الضرورة في المناطق الريفية في لبنان - راشيا

لينا س. مدّاح

تقرير

كانون 1 2021

تأسس المركز اللبناني للدراسات (LCPS) في العام 1989، وهو مؤسسة فكرية مستقلة وغير حزبية تتخذ من بيروت مقراً لها وتمثّل مهتمّتها في إنتاج ومناصرة السياسات التي تعمل على تحسين الحوكمة الرشيدة في مجالات النفط والغاز والتنمية الاقتصادية والمالية العامة واللامركزية.

هذا المشروع مدعوم بمنحة من مركز المشروعات الدولية الخاصة في واشنطن العاصمة.

حقوق النشر © 2021
المركز اللبناني للدراسات
تصميم بولي بود
تنفيذ دوللي هاروني.

برج السادات، الطابق العاشر
ص.ب 55-215، شارع ليون،
رأس بيروت، لبنان
رقم الهاتف: +961 1 79 93 01
رقم الفاكس: +961 1 79 93 02
info@lcps-lebanon.org
www.lcps-lebanon.org

تأثير الأزمات المتعاقبة على رواد الأعمال بحكم الضرورة في المناطق الريفية في لبنان - راشيا

لينا س. مدّاح

لينا س. مدّاح هي باحثة اقتصادية في المركز اللبناني للدراسات. وتشمل مجالات عملها التنمية الاقتصادية والاقتصاد الإقليمي والمواقع الصناعية وديناميكيات المؤسسات والصناعات الثقافية والإبداعية. في رصيد مدّاح شهادة دكتوراه في الاقتصاد من جامعة روفيرا إي فيرجيلي في إسبانيا. أتمت، قبل انضمامها إلى المركز اللبناني للدراسات، دورة تدريبية في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) في البندقية، إيطاليا. شغلت منصب باحثة زائرة في مختبر الاقتصادات الإقليمية التطبيقية في جامعة إلينوي إربانا-شامبين (UIUC) في الولايات المتحدة الأمريكية، وباحثة اقتصادية في قسم الاقتصاد في جامعة روفيرا إي فيرجيلي (URV) في إسبانيا. حصلت مدّاح على منحة من برنامج 'مارتي وفرانكيس كوفند' للمنح الدراسية (2017 - 2020)، وهو مشروع ممول من المفوضية الأوروبية. وشاركت في العديد من المنصات الاقتصادية الوطنية والدولية التي تناولت العلوم الإقليمية والصناعات الثقافية والإبداعية والتنمية المحلية والجغرافيا الاقتصادية.

تركت الأزمات المتعاقبة التي عصفت ببلدان على مدى السنوات القليلة الماضية، بدءاً من الانهيار المالي وجائحة كوفيد-19، وصولاً إلى انفجار مرفأ بيروت، الشركات الصغيرة ورؤاد الأعمال بحكم الضرورة (NDEs) يكافحون من أجل الصمود، وذلك في ظلّ نقص المساعدة الحكومية أو انعدامها. وقد برز العديد من رؤاد الأعمال بحكم الضرورة في الأساس بهدف التعامل مع الظروف الاقتصادية الصعبة. ولكن، في ظلّ الأزمات المتتالية، تكافح هذه الشركات من أجل الصمود. يشكّل هذا التقرير جزءاً من مشروع أكبر يستكشف التحديات التي يواجهها رؤاد الأعمال بحكم الضرورة في المناطق الريفية في لبنان، ويقدم للهيئات الحكومية المحلية خياراتٍ سياسية تدعم انشطتهم.

ومن أجل تنفيذ الدراسة، تم اختيار ثلاثة مناطق من ثلاث محافظاتٍ مختلفة لإجراء تحليلٍ مقارن: وهي راشيا في البقاع، وفنيدق في عكار، وقطين وحيداب في جنوب لبنان. واستندت عملية الاختيار إلى الأسس الاقتصادية والتنوع الجغرافي وخصائص المناطق الريفية. ومن أجل تحديد التحديات التي يواجهها رؤاد الأعمال بحكم الضرورة في مواصلة العمل وتحقيق الاستدامة في ظلّ الأزمة الحالية، تم اعتماد منهجية بحث نوعية لجمع البيانات، وتم اعتماد طريقتين لجمعها: (1) مقابلات فردية مباشرة مع صانعي القرار المحليين في كل منطقة، و(2) مناقشات مجموعة العمل مع رؤاد الأعمال بحكم الضرورة من القطاعات الفرعية المختارة في المناطق الثلاث. هذا وقد تمّ اختيار نحو سبعة رؤاد أعمال من القطاعات الفرعية المحددة لكل مجموعة عمل. ويعدّ هذا التقرير الأول ضمن سلسلةٍ مخطّطٍ لها من التقارير حول المناطق الريفية في لبنان مع التركيز على راشيا. ويختتم التقرير بتوصياتٍ سياسية لتجنّب الثغرات المعهودة للسياسات، والتي غالباً ما تتجاهل دور البلديات في التنمية الاقتصادية المحلية. كما ويسلّط التقرير الضوء على الحاجة إلى سياسة ريادية ريفية أكثر شمولية في لبنان من خلال: (1) تمكين رؤاد الأعمال بحكم الضرورة محلياً، (2) تعزيز النمو الاقتصادي، لا سيما في القطاع الزراعي، (3) تعزيز الشبكات الإقليمية، (4) إشراك الشباب، و(5) تمكين المرأة.

مقدمة

إن السماح باضمحلال المناطق الريفية بكل بساطة ليس بخيار جذابٍ أو مقبول. (ديك وينتشل، وجهات نظرٍ جغرافية حول التغيير الريفي المستدام).

تفتقر اليوم راشيا، التي تُعدّ موطن قلعة الاستقلال اللبناني والتراث الثقافي والأنشطة الإبداعية والسياحة والزراعة، لمقوّمات الصمود الاقتصادي. ولقد تم إعداد هذا التقرير ضمن إطارٍ أوسع لتقييم الآثار قصيرة الأمد للأزمات على رواد الأعمال بحكم الضرورة في المناطق الريفية في لبنان بغية إرشاد البلديات الريفية حول أدوات التنمية المحلية لمساعدة البلاد، بما في ذلك الديناميات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية في البلدة والتحديات المرتبطة بالأنشطة الإنتاجية من خلال تحليل قطاعي مفصّل. إن الأزمات التي يواجهها اللبنانيون على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي تسببت بأعباء فادحة لرواد الأعمال بحكم الضرورة في الاقتصادات المحلية في المناطق الريفية. ويهدف هذا التقرير إلى تسليط الضوء على مجموعة من التحديات التي يواجهها هؤلاء، والتي فاقمت من ضعف هذه المؤسسات التجارية الهشة أصلاً، ما يبرز الحاجة إلى المساعدة للتغلب على هذه الظروف الحرجة. ونظرًا لتأخر جميع أشكال الإغاثة على المستوى الوطني، يُصبح من الضروري البحث عن حلول محلية لدعم الشركات الصغيرة التي يمكن أن تؤدي دورًا في صمود ريادة الأعمال وتعافيها على الأمدين المتوسط والبعيد. يسعى هذا التقرير إلى تحقيق هدفٍ ثلاثي الأبعاد: (1) استكشاف التحديات التي تواجه رواد الأعمال بحكم الضرورة في راشيا، (2) تقييم آثار جائحة كوفيد-19 والأزمة الاقتصادية والمالية وانفجار مرفأ بيروت على رواد الأعمال بحكم الضرورة في راشيا، فضلًا عن الاستجابات الحكومية على مستوى السياسات، و(3) تقديم توصيات بشأن السياسات المصمّمة خصيصًا لكل قطاعٍ اقتصادي نشيط (كالقطاع الزراعي، والمواشي والدواجن، وتربية النحل، وشركات تصنيع الأغذية، والصناعات الحرفية والسياحة البيئية، وغيرها من الخدمات) والتي تأخذ خصائص بلدة راشيا بالاعتبار. وتكتسب هذه الدراسة أهمية قصوى بالنسبة لرواد الأعمال بحكم الضرورة والباحثين وصانعي السياسات والمنظمات غير الحكومية (الدولية والمحلية) وأصحاب المصلحة الآخرين. بدأ العمل الميداني في راشيا في 9 حزيران/يونيو 2021، حيث أُجريت خمس مقابلاتٍ معمّقة مع أفراد بارزين (من مسؤولين وقادة محليين وناشطين)، تلتها أربع مجموعات عمل في يومي 18 و19 من الشهر نفسه، مع مشاركين من نساء ورجال أتموا سنّ الثمانية عشر عامًا، وشملت رواد أعمالٍ بحكم الضرورة في القطاعات التالية: (1) القطاع الزراعي، بما في ذلك المواشي والدواجن وتربية النحل، (2) شركات تصنيع الأغذية، (3) الصناعات الحرفية، (4) السياحة البيئية، و(5) قطاع البناء. وقد بلغ العدد الإجمالي للمشاركين 38، من بينهم 30 من رواد الأعمال بحكم الضرورة غير الرسميين (10 من المشاركين هم نساء من قطاع المونة المنزلية والحرف اليدوية محلية الصنع).

I أبرز النتائج: التحليل القطاعي

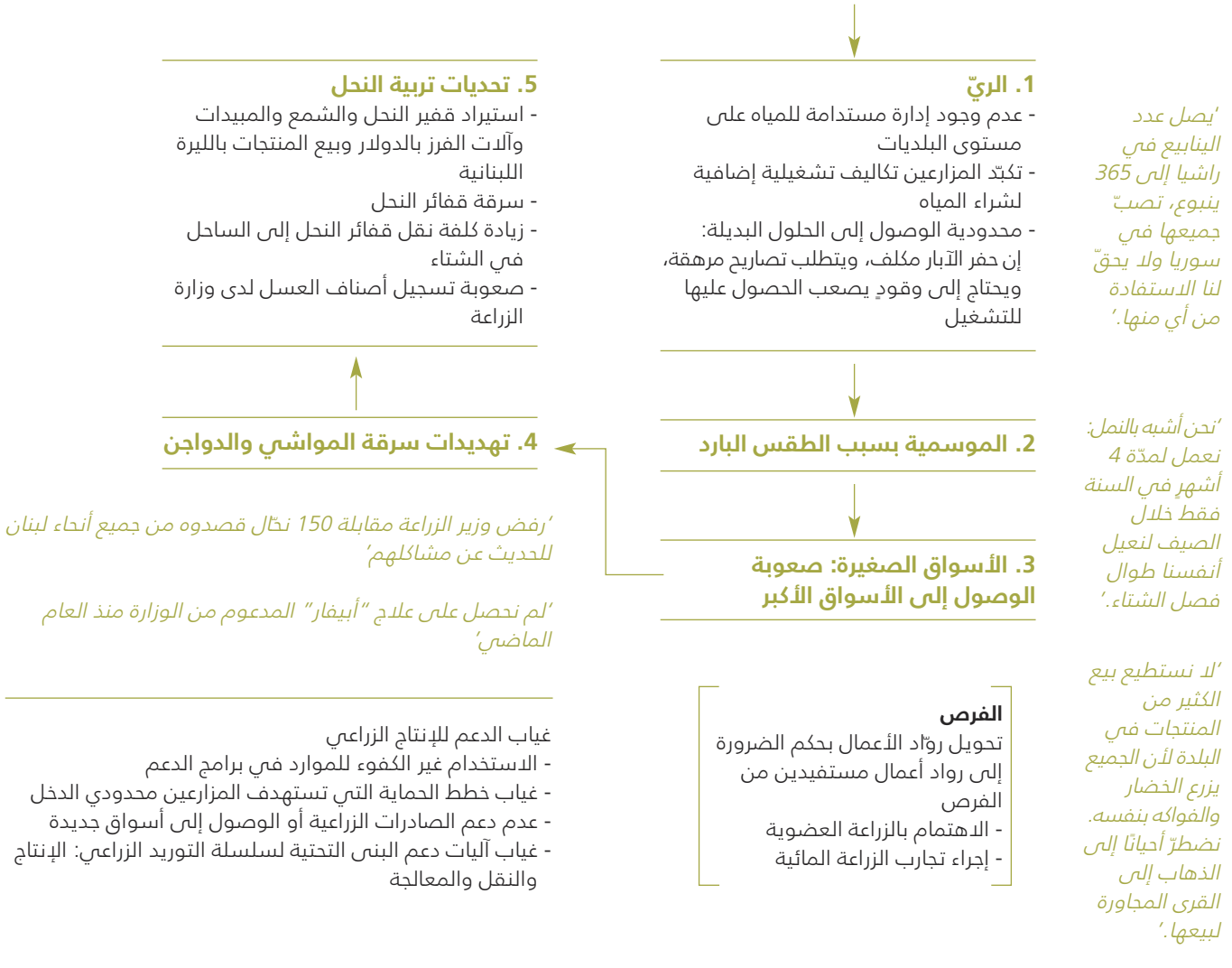
تهدف هذه الدراسة بشكل رئيسي إلى تقييم الآثار قصيرة الأمد للأزمات المتعاقبة التي يواجهها رواد الأعمال بحكم الضرورة في راشيا. وبشكل عام، تُعتبر تأثيرات الأزمات عليهم موحدةً نسبيًا، بغض النظر عن القطاع الذي يعملون فيه أو طبيعة أعمالهم ودورة حياتها. وفي وصفهم لوضع بلدتهم، اشتكى المشاركون من أن بلدة راشيا 'مدينة منسية'، وشدّدوا على قدرتها في أن تكون نابضة بالحياة على غرار البلديات اللبنانية الأخرى ذات التراث الثقافي الغني، كجبل التي يستشهد بها الكثيرون للمقارنة. وبالفعل، عبّر المشاركون عن عدم ثقتهم بالحكومة، باعتبار أنها فشلت في تنفيذ سياسات التنمية الاقتصادية المستدامة في منطقة البقاع على مدى السنوات الماضية. وقد ساهم التقاعس التام للحكومة المركزية في الاستجابة للأزمات المتعددة الأخيرة من خلال تدابير التعافي لرواد الأعمال بحكم الضرورة في زيادة الطين بلة. فيما دفع غياب فرص العمل بعدد كبير من الشباب إما إلى الالتحاق بالحيش أو الهجرة. وبالتالي، كشفت الأزمة بجوانبها المتعددة، والتي بدأت في الأشهر الأخيرة من العام 2019، عن نقاط الضعف في الاقتصاد المحلي ورستختها.

قطاع الزراعة والمواشي والدواجن وتربية النحل

تكشف نتائج المقابلات ومجموعات النقاش أنّ غالبية رواد الأعمال بحكم الضرورة الجدد نسبيًا في راشيا قد تحوّلوا إلى القطاع الزراعي لتأسيس أعمالهم. ليس ذلك بمفاجئة، بل يتماشى مع الافتراضات العامة حول رواد الأعمال بحكم الضرورة في البلدان النامية، حيث تتفاعل المجتمعات مع الأزمات عبر التحوّل إلى الأنشطة الزراعية في قراها كبديل للبطالة. يعرض الرسم البياني 1 التحديات الرئيسية التي تواجه رواد الأعمال بحكم الضرورة في قطاع الزراعة والمواشي والدواجن وتربية النحل (تمثل تربية النحل جزءًا مهمًا من الزراعة في راشيا).

الرسم البياني 1 التحديات التي تواجه رواد الأعمال بحكم الضرورة في قطاع الزراعة والمواشي والدواجن وتربية النحل

'العودة إلى الزراعة': مسارٌ واعد ومحفوفٌ بالعقبات



المصدر من إعداد المؤلف

يتمثل التحدي الأول والأهم الذي يواجه قطاع الزراعة بالريّ وتعذر الوصول إلى الموارد المائية، وذلك على الرغم من موقع راشيا الفعلي على سفح جبل الشيخ الغني بالمياه. أما المشاكل الأخرى فتتعلق بإيجاد أسواق لبيع المنتجات الزراعية، إضافةً إلى موسمية العمل الزراعي بسبب الطقس البارد. وعلى الرغم من هذه التحديات الرئيسية، تشير المقابلات إلى أن رواد الأعمال بحكم الضرورة، الحديثين والقدماء منهم، يعتمدون أساليب جديدة، كالزراعة المائية والزراعة العضوية، ما يعكس مستوى عالٍ من الخبرة والمعرفة بين المزارعين. أمّا المجالين الرئيسيين الآخرين اللذين يشكّلان محطّ اهتمام رواد الأعمال بحكم الضرورة، فهما تربية المواشي والدواجن والنحل. هذا

وقد أنشأ عددٌ من الأشخاص الذين فقدوا وظائفهم وممن أصبح عسيرًا عليهم الوصول إلى مدخّراتهم الشخصية بسبب القيود المصرفية الأخيرة، 'مزارع للحيوانات' تتألف من الأبقار والماعز والدجاج والأرانب. وفي الأساس، عندما ينشئ رواد الأعمال بحكم الضرورة مزارعهم، يفترضون أن مشروعهم قد يولّد فرص عمل، ولكنّ ينتهي بهم المطاف الي تأديتهم الوظائف بأنفسهم، أو بمساعدة أفرادٍ من أسرّتهم من أجل تخفيض التكاليف التشغيلية. وبطبيعة الحال، تُحقّق بعض المبادرات نجاحًا أكبر من غيرها لجملةٍ من الأسباب. فعلى سبيل المثال، أدى طلب الأسر على منتجات الألبان وخاصة الحليب، من بعض الشركات، إلى درّ الأرباح. في المقابل، يُعتبر الطلب على البيض ضئيلاً، كونه يُعتبر باهظ الثمن، على الرغم من أن العديد من مزارعي الدواجن يعملون بخسارة. يسلبّ ذلك الضوء على ضرورة النظر بشكل أعمق في التنوّع الزراعي، - أي ما يلقي وما لا يلقي نجاحاً - وذلك لتقديم مشورةٍ فعّالة حول السياسات.

'استثمرت 60 مليون ليرة لبنانية لإنشاء مزرعة الدواجن هذه. وها أنا أعمل بخسارة. إذا قمت بزيادة سعر البيض، فلن يشتريه أحد.'

—أحد مزارعي الدواجن

تُعَدّ تربية النحل نشاطاً تجارياً ملحوظاً في راشيا، مع انخراط عددٍ كبير من رواد الأعمال بحكم الضرورة الجدد في هذه الصناعة، معزّزين نموّها. وقد عمد أحد النحالين إلى توسيع نطاق عمله لاستيراد وتصنيع ما يحتاج إليه النحالين، مثل قفائر النحل وبدلات الحماية، والشمع، وغيرها من المعدّات. وقد اعتاد معظم النحالين توظيف عمال ثابتين (بين 2 و3)، غير أنّ الأزمة الحالية دفعت بهم إلى فصلهم والاستعانة بموظّفين بدوامٍ جزئي بدلاً منهم. وتُعَدّ 'صناعة العسل' إحدى الصناعات الصغيرة التي تأثّرت بشكلٍ إيجابي بجائحة كوفيد-19، بسبب تزايد الطلب على العسل نظراً إلى فوائده في تعزيز مناعة الجسم. ويُباع عسل راشيا بغالبيته إما محلياً أو في العاصمة بيروت، فيما تمكّن عددٌ قليل من النحالين من إيجاد طرقٍ لتصدير منتجاتهم. وعلى الرغم من أن العديد من النحالين يبيعون منتجاتهم باستخدام أسماء تجارية، إلا أنّ أيّاً منهم لم يسجّل علامته التجارية لدى وزارة الاقتصاد. وفي حين تُعتبر تربية النحل عنصراً حيويّاً في راشيا يساهم في رسم هويّتها الاقتصادية والبيئية والثقافية، يغيب الدعم الحكومي لهذا القطاع غياباً كاملاً، ما ساهم في تقويضه خلال الأزمة. وتتعدّد آثار الأزميتين الاقتصادية والمالية على مربّي النحل، ومنها: (1) انعدام الوصول الكافي إلى الموارد المالية، وخاصة الدولار 'النقدي' الضروري لاستيراد المستلزمات

الرئيسية مثل قفائر النحل والشمع وآلات الفرز والسكاكين ومعدات الحماية ومبيدات الحشرات؛ (2) المخاوف الأمنية، كسرقة قفائر النحل وآلات الفرز والسكاكين؛ (3) كلفة نقل قفائر النحل إلى الساحل في الشتاء؛ (4) نقص الدعم للعلاجات الخاصة بمكافحة الأمراض؛ و(5) صعوبات تسجيل العلامات التجارية للمزارعين لدى الوزارة المختصة.

شركات تصنيع الأغذية

ينبغي تسليط المزيد من الضوء على الصناعات الغذائية، لا سيما شركات التصنيع الصغيرة والبالغة الصغر التي تمثل التراث الغذائي الريفي والهوية الثقافية في لبنان، بالإضافة إلى كونها تشكل جزءاً مهماً من الأنظمة الزراعية المحلية التقليدية. وفي هذه الفئة، نسلط الضوء على التحديات التي تواجه رواد الأعمال بحكم الضرورة الذين يعملون في صناعة المونة المنزلية ودبس العنب والتقطير. وقد انتشرت صناعة المونة المنزلية بشكل ملحوظ في العامين الماضيين في راشيا، مدفوعة بارتفاع مشاركة النساء اللواتي لجأن إلى هذا القطاع لإعالة أسرهن.

وتشمل منتجات المونة المنزلية الرئيسية على الزعتر والكشك والمخللات والباذنجان المكدوس ودبس الرمان والطماطم والمربى ومنتجات الألبان. وفي معظم الحالات، تعمل رائدات الأعمال في مجال صناعة المونة المنزلية من منازلهن، ويقمن بتسويق منتجاتهن وبيعها إما من خلال الاتصالات الشخصية والشبكات الاجتماعية ونشر الخبر، أو عن طريق عرض المنتجات في متاجر البقالة المحلية. وتشمل المنتجات المقطرة، زهر البرتقال وماء الورد. بالإضافة إلى ذلك، تشتهر راشيا بدبس العنب الذي أصبح غير مربح بسبب الأزمات المستمرة.

ويمكن تصنيف التحديات الرئيسية التي تواجه رواد الأعمال بحكم الضرورة في مجال تصنيع هذه الأغذية على النحو الآتي: (1) نقص الوقود والكهرباء ما يحول دون إتمام الحد الأدنى من معالجة النباتات والفواكه والخضار. فعلى سبيل المثال، أعرب رواد الأعمال بحكم الضرورة في راشيا عن حاجتهم إلى الكهرباء للعمل على مدار الساعة يومياً، لأن العنب دقيق وينبغي عصره على الفور؛ (2) عدم القدرة على تنبؤ التكاليف الثابتة والتشغيلية، بالإضافة إلى الكلفة الباهظة نسبياً للأعشاب والنباتات والفواكه والخضار التي يتم شراؤها من البقاع والمدن الساحلية، إضافة إلى المواد الأساسية الأخرى كقوارير الزجاج أو العلب؛ (3) التغييرات في خطط الإنتاج بسبب الحالات الطارئة والمخاطر، الطبيعية منها والاقتصادية على حد سواء؛ و(4) إيجاد أسواق لبيع منتجاتهم.

الصناعات الحرفية

تُعَدّ الصناعات الثقافية والإبداعية اليوم عناصر أساسية للتنمية المحلية (منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، 2018)، وهي تؤدي دورًا مهمًا في إنعاش المدن والبلدات وتحفيز الاقتصادات المتعثرة (لي، 2014). لقد سلّطت نتائج الدراسة الضوء على الصناعات الحرفية، أحد أبرز قطاعات الصناعات الثقافية والإبداعية. ويشمل ذلك عددًا كبيرًا من رواد الأعمال بحكم الضرورة القدماء الذين عملوا تقليديًا في راشيا، والذين لم يتوقّر لهم سوى القليل من فرص العمل الرسمية، ما دفعهم إلى فتح متاجر صغيرة للمجوهرات و/أو تعلّم الحرفة من عائلاتهم وأصدقائهم من أجل الاستمرار. ويشتهر رواد الأعمال بحكم الضرورة في راشيا بصناعة الفضة، وهي حرفة معرّضة لخطر الزوال في غياب الدعم الحكومي. ولقد أثرت الأزمة المالية، إلى جانب جائحة كوفيد-19، على هذه الحرفة بشكل كبير. أمّا التحدي الأبرز الذي يواجه رواد الأعمال بحكم الضرورة، فيتمثّل باضطرارهم إلى شراء المواد الخام، ما يتطلّب الحصول على الدولار، إلى جانب التكاليف التشغيلية، من إيجار ورواتب وكهرباء. ولقد أُجبر الكثير منهم على إغلاق متاجرهم بسبب القيود المفروضة جرّاء جائحة كوفيد-19، ما دفع بالعديد منهم إلى صرف موظفيهم.

‘كانت سوق راشيا القديم تأوي ثمانية متاجر للفضة حيث يعمل أكثر من 40 صائغًا، وقد اعتدنا المشاركة في المعارض في كل مكان. أما في العقد الماضي، لم يسلم منها سوى متجرين فقط.’
—صائغ فضة من راشيا

وتشتهر راشيا كذلك في تصنيع المواقد. وتُعتبر هذه الصناعة التقليدية بدورها معرّضة للزوال. وترتبط التحديات الرئيسية التي تواجه هذه الحرفة حاليًا بالإقفال الناتج عن جائحة كوفيد-19، حيث اضطرّ الكثيرون إلى إغلاق صالات العرض الخاصة بهم خلال فصل الشتاء، وهو موسم حاسمّ بالنسبة لهم حيث يسجلون فيه ذروة مبيعاتهم. وقد تسبّب ذلك بخسائر فادحة لرواد الأعمال بحكم الضرورة، ما أجبرهم على البيع بسعر الكلفة من أجل الاستمرار.

الرسم البياني 2 التحديات التي تواجه رواد الأعمال بحكم الضرورة العاملين في الصناعات الحرفية

الصناعات الثقافية والإبداعية في راشيا: تحديات الحفاظ على التراث وتعزيز الإبداع



'كانت هناك ثمانية متاجر للفضة في سوق راشيا القديم، وأكثر من 40 صائغًا يعملون فيها. اعتدنا على المشاركة في المعارض في كل مكان. في العقد الماضي، بقي متجرين فقط يعملان.'

1. حرفة صناعة المواقد

- موسمية هذه الصناعة الحرفية: تُسجّل المبيعات ذروتها في فصل الخريف. يعمل الحرفيون طوال العام في انتظار الموسم. وبسبب جائحة كوفيد-19، أغلقت صالات العرض الصغيرة الخاصة بهم، ما كبدتهم خسائر فادحة

- يبيع المصنّعون المواقد بسعر الكلفة، أو حتى أقل، من أجل الصمود، ويواجهون تحديات جمّة بسبب محدودية التسويق، ووجهات/ أو شبكات التصدير

'تشكّل مواقدنا قطعًا فنية. هي حرفة عائلية تتناقلها منذ أجيال عديدة. يقصدنا الناس من جميع أنحاء لبنان ومن خارجه.'

تواجه هذه التجارات التقليدية خطر الانقراض بسبب نقص الدعم الحكومي للأعمال الحرفية

2. حرفة صياغة الفضة القديمة:

- التحديات المتعلقة بالإنتاج: يشتري الصائغ المواد الخام بالدولار ويبيعونها بالليرة اللبنانية وبخسارة في الكثير من الأحيان

- في محاولة للاستمرار، قام صائغ الفضة بتخفيض عدد عمّالهم إلى الحد الأدنى، وتسريح ما بين 3 إلى 4 عمّال (من النساء).

- بسبب النقص في المواد الخام، اعتمد صائغ الفضة على استخدام المخزون القديم لصياغة مجوهرات جديدة

المصدر من إعداد المؤلّفة¹

1

الصورة: <https://lebanonuntravelled.com/rashaya-el-wadi-traditional-silver-jewelry/>

السياحة البيئية

تتمحور السياحة البيئية حول بناء الجسور بين البيئة والمجتمع والسفر المستدام، وتجمع راشيا بين هذه العناصر الثلاثة. ومع ذلك، يعاني رواد الأعمال بحكم الضرورة في البلدة، لا سيّما إثر سلسلة الأزمات التي عصفت ببلبان. وتكشف الدراسة أن السياحة البيئية قد جذبت العديد من الأشخاص للعمل في هذا القطاع خلال السنوات الخمس الماضية، حيث اختار البعض هذا القطاع بغية كسب دخل إضافي، في حين ترك آخرون وظائفهم للاستثمار في هذا العمل الريفي بالكامل.

يقدم رواد الأعمال بحكم الضرورة الجدد في قطاع السياحة البيئية مجموعة متنوّعة من الخدمات (مرشدين للنزهات والفنادق أو دور الضيافة والمطاعم). وتمثّل التحديات الرئيسية التي تواجه رواد الأعمال بحكم الضرورة في هذا القطاع ب: (1) انخفاض الطلب على هذه الخدمات وذلك جزئاً جائحة كوفيد-19 والأزمة المالية ونقص الوقود؛ (2) آثار الحرب السورية، وأهمها عدم القدرة على ضمان سلامة المتنزهين والزوار على جبل حرمون الذي يمتدّ على طول الحدود اللبنانية-السورية؛ و(3) الكلفة المتزايدة للخدمات.

'لقد أصبح كل شيء باهظ الثمن اليوم. حتى السياح الأجانب يدفعون لنا بالليرة اللبنانية، إذ أنهم يقصدوننا من خلال وكالاتٍ محلية.' —رائد أعمال من راشيا في مجال السياحة البيئية

هذا، وأثبتت السياحة أنها تشكّل أداة للتنويع الاقتصادي ومحركاً رئيساً للعمالة مع تأثير مضاعف على القطاعات الأخرى التي تساهم في التنمية الريفية (منظمة السياحة العالمية، 2021). وبشكل أكثر تحديداً، يمكن للسياسات المحلية الداعمة للحرف اليدوية والسياحة البيئية في راشيا أن تعود بمنفعة خاصة على الفئات المستضعفة، كالنساء والشباب، بما أنّها من أكثر الصناعات الثقافية والإبداعية ديناميّة حيث توفّر عوامل إيجابية للمجتمعات المضيفة.

خدمات أخرى

إلى جانب السياحة البيئية، تسلّط هذه الدراسة الضوء أيضاً على رواد الأعمال بحكم الضرورة من أصحاب المطاعم ومحلات الحلويات، ومعظمهم من رواد الأعمال بحكم الضرورة الحديثين الذين درسوا وسافروا واكتسبوا خبرة في مهنتهم، وعادوا إلى قريتهم بنيةٍ إطلاق فرعٍ واحد، ومن ثم توسيع أعمالهم إلى مناطق أخرى في لبنان، بيد أن الأزمات حطّمت خططهم بالكامل. وتمثّل التحديات الرئيسية التي يواجهونها بما يلي: (1) تخمين التكاليف

التشغيلية مع ارتفاع سعر المواد الخام يرتفع باستمرار؛ (2) تأمين المكونات الأساسية المستخدمة في منتجاتهم، كأنواع معينة من الخبز والجبن والصلصات وغيرها؛ (3) تراجع القدرة الشرائية للمستهلكين في السوق المحلي (كالقوى العسكرية أو موظفي القطاع العام)، بالإضافة إلى غياب الزوار والمغتربين؛ و(4) ارتفاع كلفة المواد الخام التي لم تعد مدعومة كالسكر والقمح والزيت والبيض.

‘كان الموزعون يقصدوننا أسبوعياً، أما في العامين الماضيين، فما عادوا يأتون إلا مرة واحدة في الشهر، قائلين إن الطريق إما مقطوع من قبل متظاهرين أو إنه ليس لديهم ما يكفي من الوقود للقدوم إلى راشيا.‘
—صاحب متجر من راشيا

قطاع البناء

يُعدّ الحدادين والنجارين والدهّانين والبنّائين وقاطعي الغرانيت وملمّعي البلاط من بين رواد الأعمال بحكم الضرورة الذين يعملون في قطاع البناء في راشيا. أما عملاؤهم الرئيسون فهم السكان المحليون، مثل القوى العسكرية والموظفين والمزارعين. وفي ظلّ انخفاض قيمة الليرة اللبنانية، شهد قطاع البناء شبه جمود إذ ما من منازل جديدة قد بُنيت خلال السنوات الثلاث الماضية. وتشمل الصعوبات الرئيسة التي يواجهها رواد الأعمال بحكم الضرورة في هذا القطاع ما يلي: (1) فقدان السوق المحلي لقدرته الشرائية؛ (2) اشتداد المنافسة من جانب العمال السوريين؛ و(3) ارتفاع أسعار المواد الخام.

‘الوضع هو نفسه في جميع القرى أينما نظرنا خارج البلدة. لقد أصبحت أعمال البناء رفاهية باهظة الكلفة.‘
—عامل بناء من راشيا

II الخلاصات والتوصيات المتعلقة بالسياسات

تختار اليوم المجتمعات الريفية بشكل متزايد تشجيع مبادرات التنمية المحلية وذلك لأنّ أملها قد خاب إزاء غياب الدور الحكومي وبرامج التنمية المنقّدة على المستوى الوطني، وازدادت خيبة الأمل هذه بسبب ما يعتبره العديد من رواد الأعمال بحكم الضرورة أنه قلّة اهتمام حكومي تجاه مشاكلهم ومستقبلهم. نقدّم في ما يلي، مجموعة من التوصيات المتخصصة والشاملة لكل قطاع/صناعة ذي عدد كبير من رواد الأعمال بحكم الضرورة الناشطين:

الزراعة: ينبغي على أصحاب المصلحة المحليين (أي المزارعين والجامعات والمنظمات غير الحكومية المحلية) أن يضعوا خطة زراعية لدراسة ما الذي يجب زراعته وأين، إضافة إلى التوصل إلى استنتاجات فيما يتعلق بأنسب الأنواع للزراعة. ويُعدّ هذا التوجيه أساسياً، خاصة لروّاد الأعمال بحكم الضرورة الجدد في القطاع الزراعي.

'نحن مبتدئون بالزراعة، ونحتاج إلى معرفة ما هو النوع الأفضل لزراعته. لقد خسرنا العديد من المواسم نتيجة عدم اختيار النوع الصحيح للزراعة.' —مزارع من راشيا

- بدء البحث والمناقشات حول الحفاظ على الاكتفاء الذاتي الزراعي، مثلًا من خلال استغلال الحياة النباتية الغنية في جبل حرمون.
- اعتماد استراتيجية محورها الإنسان لتصميم استثمارات زراعية ذكية 'تنوعية' والعمل على تنفيذها. على أن يشكّل التنوع الزراعي، من حيث الأنواع والأصناف والسلالات وأيضًا أنواع الإنتاج في التنمية الزراعية، أولوية قصوى. وأحد الأمثلة على ذلك هو إدخال زراعة الشوفان مع تزايد طلب العلامات التجارية المحلية في لبنان عليه لتصنيع المواد الغذائية، وذلك يتماشى مع النظام البيئي في راشيا.
- جعل روّاد الأعمال بحكم الضرورة الحاليين مواكبين للتطور عبر تحسين المرافق والبنية التحتية الريفية وخاصة البنية التحتية للرّي.
- مساعدة المزارعين على إنشاء مزارع كبيرة للمواشي (ماعز وأبقار) من أجل تصنيع منتجات الألبان وزراعة الأعلاف بدلاً من استيرادها. ويمكن أن تتمثل المساعدة أيضًا بخلق همزة وصل بين المزارعين المحليين ووزارة الزراعة لتسهيل توزيع الأعلاف المدعومة. لقد مؤّلت وزارة الزراعة، إلى جانب بعض المنظمات غير الحكومية، الماعز السويسري وورّعته على المزارعين في راشيا، ومع ذلك اضطرّ العديد من المزارعين إلى بيع ماعزهم لأنهم لم يتمكّنوا من الحصول على الأعلاف المدعومة. وبالتالي، من الضروري اعتماد طرق لدعم روّاد أعمال بحكم الضرورة تتوافق مع احتياجاتهم.
- تشجيع التقنيات الزراعية الجديدة والاستماع إلى المزارعين الجدد الذين يحاولون البحث عن فرص في الزراعة العضوية والزراعة المائية، من خلال توفير المساعدة التعليمية والتقنية لمثل هذه المبادرات، التي تستطيع تحويل روّاد الأعمال بحكم الضرورة إلى مستفيدين من الفرص.

راشيا بلدة كبيرة جدًا تبلغ مساحتها 77 كيلومترًا مربعًا. نحتاج إلى 50000 رأس ماعز، كما كان الحال من قبل، لتصنيع منتجات الألبان. —مزارع من راشيا

تربية النحل: نظرًا إلى أن تربية النحل تشكّل جزءًا لا يتجزأ من الزراعة في راشيا، وهي مصدر رئيس للدخل بالنسبة لبعض رواد الأعمال بحكم الضرورة، لذا من المهم توفير الدعم على المستوى المحلي، بما في ذلك:

- إدراج قطاع تربية النحل على جدول أعمال البلدية المتعلق بالاقتصاد والاستدامة، مع خطط للمدى البعيد من أجل زيادة عدد النحالين والتمويل لرواد الأعمال بحكم الضرورة في هذا القطاع، بالإضافة إلى وضع تدابير دعم مباشرة جديدة للنحالين المحليين.
- بناءً على رغبة مربّي النحل في راشيا واستعدادهم لنقل المعارف إلى الجيل الشاب، يبدو ضروريًا توفير الدعم لهم لتطوير وتقديم البرامج المهنية، والتي لا تشمل أساليب تربية النحل فحسب، بل أيضًا التعليم حول الممارسات البيئية والتلقيح والمشاركة مع مصنّعين زراعيين آخرين.
- السعي الجدي للحصول على تمويل إقليمي ودولي يوفّر للمشاركين فرصًا للقيام بمشاريع البحث والتطوير المتعلقة بتربية النحل في المناطق الريفية، والتي بدورها تساهم في تعزيز القطاع وتحسين قدرته على مقاومة الأزمات الطبيعية وأزمات السوق. وهذا ينطوي على إشراك مراكز الأبحاث على مستوى المحافظات، وأقسام البيئة والاقتصاد في الجامعات، والمنظمات البيئية غير الحكومية.
- مساعدة النحالين في مكافحة الأمراض من خلال تدريبهم على العلاجات الفعّالة وتسهيل حصولهم عليها.
- دعم رواد الأعمال بحكم الضرورة لإنتاج العسل في موسم الطقس البارد، لا سيما من خلال المساعدة في نقل قفائر النحل إلى المناطق الساحلية.
- إدراك الاحتياجات الخاصة برواد الأعمال بحكم الضرورة والتي تم تسليط الضوء عليها في هذا الموجز، والبحث عن تدابير إضافية لإصلاح المشكلات الحالية وتقديم حلول مستدامة، مثل دعم إعادة تخزين قفائر النحل والشمع أو إعادة تدوير المتوفّر منها، والنقل إلى بيروت وغيرها.
- الاستفادة من الممارسات اللامركزية لتسجيل النحالين، ومساعدتهم في تخفيض الوقت والتكاليف الزائدة اللازمة ليصبحوا منتجين مسجّلين.

- المونة المنزلية:** تُعدّ صناعات المونة والتقطير المنزلي ودبس العنب، والتي يعمل فيها رواد الأعمال بحكم الضرورة، متخصصّة نسبيًا، وبالتالي تتطلّب سياسات تأخذ في الاعتبار خصوصيات هذه الصناعات، ومن ضمنها:
- تعزيز وصول رواد الأعمال بحكم الضرورة إلى الزراعة على أساس تعاوني، وضمان إنتاج الحد الأدنى من الكمية المتوقّعة للمونة المنزلية والديبس والتقطير في المنطقة.
 - إطلاع رواد الأعمال بحكم الضرورة على التكنولوجيات الجديدة التي تتّسم بالبساطة والسهولة لاعتمادها.
 - إجراء استطلاعات للسوق حول المونة المنزلية يستفيد منها رواد الأعمال بحكم الضرورة لفهم سلوك المستهلك وأنماط الاستهلاك المتغيّرة في ظلّ الأزمة الحالية بشكل أفضل. وسيسمح ذلك لرواد الأعمال بحكم الضرورة بتطوير استراتيجيات التسويق والتسعير الخاصة بهم.
 - تشجيع رواد الأعمال بحكم الضرورة على اعتماد نماذج جديدة، نذكر على سبيل المثال، استخراج زيت الورد، بالإضافة إلى ماء الورد الذي يُعدّ مكونًا أساسيًا في صناعة العطور ومسحوق الاستحمام والشامبو محليًا -وهذا السوق المحليّ يشهد نموًا متزايدًا بسبب الارتفاع في أسعار السلع المستوردة.

- الصناعات الثقافية والإبداعية** (من ضمنها الصناعات الحرفية والخدمات والسياحة البيئية): تُعدّ راشيا بلدة ريفية غنية ثقافيًا وبيئيًا - وعليه، ينبغي لهذه القطاعات ان تتصدر التنمية الاقتصادية المحلية:
- إعادة إحياء وسط بلدة راشيا التاريخي: نظرًا إلى توفر العديد من المعالم التاريخية والمناطق الجاذبة للسياح في راشيا وجوارها، يتعين على البلدية النظر في إنعاش وسط المدينة لدعم رواد الأعمال بحكم الضرورة. ويمكن تحقيق ذلك من خلال وضع استراتيجية متخصصة ذكية بشأن الفنون والصناعات الحرفية والسياحة البيئية، إلى جانب السياسات المتعلقة بالمجمّعات الصناعية التي من شأنها تعزيز تنمية الصناعات الإبداعية. وبشكل أساسي، ينبغي للتخصّصية في الصناعات الثقافية والإبداعية أن تكون متنسّقة مع السياقات المحلية المحدّدة وأن ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالظروف المحلية (مداح، 2021). تسلّط نتائج هذا التقرير الضوء على الصناعات الثقافية والإبداعية المتخصصة التي من شأنها أن تعزز الابتكارات والانعكاسات غير المباشرة في راشيا، بالإضافة إلى الموارد اللازمة لاستمرارية رواد الأعمال بحكم الضرورة على المدى القصير. ويمكن أن يبدأ ذلك من خلال إدراك هذه الفرص في مناطق وسط المدينة التي تحتاج إلى التجديد والتحسين.
 - تشجيع السياحة البيئية من خلال الاستفادة من الوسائل الرقمية للترويج للمناظر الطبيعية الخلابة في المدينة وبدائل السياحة الريفية.

■ دعم العاملين في القطاع الحرفي من خلال تزويدهم بالمواد الخام والمعدّات.

■ تنظيم تدريب مهني على الحدادة والنجارة والدهان وما إلى ذلك.

وفيما يلي مجموعة أخيرة من التوصيات العامة للبلدية:

- النظر في تطوير منصة رقمية تربط المغتربين بروّاد الأعمال بحكم الضرورة، للمساعدة في تحديد المصادر غير التقليدية لاستثمار رأس المال وجمع أصحاب المصلحة وتقريبهم من بعضهم البعض. ويمكن للحوار الناتج عن ذلك أن يسهّل لروّاد الأعمال بحكم الضرورة تصدير المنتجات المحلية وتسويقها.
- الاضطلاع بدورٍ فاعلٍ وتدرّجي في دعم مشاركة المرأة وضمان شمولية الدعم والمساعدة المقدّمين.
- إشراك السكان والمغتربين والجامعات والمنظمات غير الحكومية المحلية من أجل توفير التدريب وبناء القدرات لسدّ الثغرات في المهارات.
- التركيز على مشاركة المجتمع في معالجة قضايا نوعية الحياة. أخيرًا، وسط الأزمات المتعاقبة التي دفعت باللبنانيين إلى اليأس، تستطيع المناطق الريفية الاستفادة من الأعمال التجارية الصغيرة. وعلى الخدمات البلدية أن تعالج احتياجات روّاد الأعمال بحكم الضرورة الاجتماعية والاقتصادية. وفي ظلّ الغياب التام لأي تدخّل حكوميّ شامل، يمكن استخدام مقارنة تصاعديّة لتحديد احتياجات روّاد الأعمال بحكم الضرورة من شأنها أن تساعد في التغلب على التحديات الحالية.

المراجع

ن. لي (2014)، 'الصناعات الإبداعية والنمو الاقتصادي المدني في المملكة المتحدة' - (*The Creative Industries and Urban Economic Growth*) - *in the UK*، من صحيفة 'البيئة والتخطيط أ: الاقتصاد والفضاء' (مجلد 46، العدد 2، ص.455-470).

منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (2018)، 'أهمية الثقافة والصناعات الإبداعية في التنمية المحلية' - (*The Value of Culture and the Creative Industries in Local Development*)، الطبعة الأولى.

ل. مذاح (2021)، 'مقالات حول الصناعات الثقافية والإبداعية: التجمّع والموقع ونمو العمالة'.

منظمة السياحة العالمية (2021) 'السياحة الريفية العالمية' - من منظمة السياحة العالمية.

د. وينتشل، د. رامسي، ر. كوستر، ج. روبنسون (2010)، 'المنظورات الجغرافية حول التغيير الريفي المستدام' - (*Geographical perspectives on sustainable rural change*).